

كلمة د. أهداف سويف في إحتفالية الشروق - بنجوين

رحبت الدكتورة أهداف سويف بالضيوف، وبالمشروع، وقالت ان لكتب بنجوين منزلة خاصة عندها، فقد تعرفت عليها وهي صغيرة، في مكتبة والدتها، الدكتورة فاطمة موسى، وسرعان ما عرفت ان الغلاف المميز لروايات بنجوين يضمن لها نصا ممتعا تستغرق فيه وتستكشف دنياه. وقالت ان هذا المزيج الخاص من الشكل والمضمون علمها حقيقة هامة عن طبيعة الرواية، فالرواية (الجيدة) تكون على درجة عالية من التفرد والخصوصية، لكنها تتشارك مع الروايات كلها في انتمائها إلى عالم واحد، تتيح فيه كلمات الفنان الروائي المنتقاة - والملهمة أحيانا - لمئات الألوف من القراء أن يسكنوا عالما غير عالمهم، ويدخلوا في عقول وقلوب شخصياته، فينفعلوا لهم ويتماهاوا معهم، وتطمس عندهم - ولو لفترة - الحدود الفاصلة بين الأنا والآخر، فيخرجوا من تجربة القراءة أوسع أفقا وأنضج عاطفة وأكثر استعدادا للتعاطف الإنساني.

وأشارت أهداف سويف إلى ما قاله رئيس بنجوين، جون ماكنسون، من أن هذا المشروع الجديد له بعد ثقافي ورمزي، فهو يبني جسرا من التفاهم بين متحدثي العربية و متحدثي الإنجليزية في وقت يتسم "الحوار" بين هذين العالمين بالكثير من الخطابة وسوء الفهم، فقالت انها تتفق معه تماما في أهمية هذا البعد الرمزي للمشروع، إلا أن علينا أن نتذكر دائما ان عدم الفهم أو سوءه ليس متساويا على الجانبين، وأن هناك الكثيرون جدا من "متحدثي العربية" الذين يفهمون الغرب، ويقدررون إنجازاته، ويرون ان المشكلات القائمة بين - لنقل - متحدثي العربية والإنجليزية، مشكلات سياسية واقتصادية وليست مشكلات حضارية. هؤلاء هم من تحدث عنهم المفكر الكبير، إدوارد سعيد، حين قال ان "ما تميزت به ثقافات الحركات التحررية الكبرى التي قامت ضد الاستعمار الغربي هو أنها رغبت في التحرر وطالبت به لتعيش في نفس العالم الذي يصفه الخطاب الثقافي الغربي".

هؤلاء المثقفون، والتحرريون، قالت، ولنسميهم سكان الأرض المشتركة (بين مناطق العربية و مناطق الإنجليزية)، اعتقدوا في إمكانية الحياة في عالم مشترك لأنهم كانوا

يرون التماثل بين أفضل ما في الثقافتين، العربية والغربية، من أفكار ومثل. وقد صدقت أجيال من العرب من ساكني الأرض المشتركة، صدقت ما أشاعته الحضارة الغربية عن نفسها: أنها ملك للعالم كله، وأنها ديمقراطية تؤمن بالتساوي، وأنها إنسانية تؤمن بقيمة الإنسان. واعتقدوا أنه - حين تزول قشور السيادة العسكرية والسياسية - سيظهر من ورائها عالم نقي يتيح للكل ان يتعاون ويتبادل الأفكار والخبرات والفنون والعلوم والتقنيات. وقالت أهداف سويف: " هذا العالم هو ما تصور جيلي أنه قد تبدى، واننا ورثناه ونعيشه: عالم ثري التربة، مظموس الحدود، تتداخل فيه الثقافات، تضيف فيه الأصداء والانعكاسات زوايا وعمقا، نرى فيه الاختلافات على انها إيجابيات. مثيرة وليست عناصر تهديد - لأننا نرى هذه الفروق على خلفية ما هو مشترك بيننا

ان العائد من السكن في الأرض المشتركة عائد كبير، فهي تضيء على الأشياء، وفي نفس اللحظة، بريق الجديد وعمق القديم: مظاهر كل من الثقافتين من لغة، وأفراد، وعادات، ومأكولات - تراها، ثم تراها منعكسة في مرآة الثقافة الأخرى. تدخل، ليس في مشروع مقارنة: لا تبحث عن "أيهما أفضل؟"، وإنما مشروع فهم وإثراء للأشياء وللأفكار. تجد نفسك داخل اللغة وخارجها. تجد نفسك، وأنت تعيش داخل الثقافتين، لا تملك إزاء مظاهرها إلا أن تكون - وفي نفس اللحظة - متعاطفا وناقدا

ثم جاء ما اصطلح الآن علي تسميته بالاستعمار الجديد، فكانت أحداث العشرين عاما الماضية البالغة التعاسة والمأساوية، والتي أظهرت للكثير منا، من مواطني الأرض المشتركة، زيف العالم الذي ظننا أننا نسكنه. لكننا الآن نرى بدايات ردود الفعل الحضارية والثقافية التي تبدو وكأنها تحاول العمل في اتجاه مضاد للأعمال السياسية والعسكرية للحقبة الماضية، فتنشئ معنى لـ "العالمية" غير المعنى التسلطي الذي تحاول القوى العظمى فرضه. وفي هذا السياق ولهذا المعنى نرحب بهذا المشروع الجديد، مشروع الشروق بنجوين، ترحيبا خاصا

لا يكتب النجاح للكثير من المشروعات ذات النوايا الطيبة، فهناك في كثير من الأحيان هوة بين أصحاب الفكر المبدع المهتمين بالقضايا وبالمنفعة العامة، وأصحاب المعرفة

والتمرس في الشؤون المالية والاقتصادية. أما في حالة هذا المشروع الجديد فلدينا المهندس إبراهيم المعلم، والسيد جون ماكنسون، والرجلين في قمة حياتهما المهنية ذات الجذور الضاربة في ثقافة فنون الكلمة، وهما مرتبطان تماما بالتراث وواعين لقيمتة، إلا أنهما مقبلان أيضا علي التجديد وعلى ما تتيحه التقنيات الحديثة، وهما حريصان على المكاسب المالية وقد أدارا شركاتهما بما ضمن لها النجاح التجاري الكبير، وفي نفس الوقت يبين لنا تاريخهما اهتمامهما بالخدمة العامة وإصرارهما على المساهمة في خدمة المجتمع بأشكال مختلفة.

مشروع الشروق بنجوين مشروع أتى في لحظته المناسبة تماما، ووجد في الشروق ودار بنجوين ورئيسيتهما الرعاية الذين يوفرون له أعلى فرص النجاح - أشعر أنني أتحدث ليس فقط باسمي، بل باسم كل الحضور حين أقول لكما أننا سوف نرقب نمو هذا المشروع باهتمام ومحبة، فنراه مشروعنا جميعا، ونتمنى له نجاحا مبهرًا